ودعت فيما دعت اليه ان لا « صوت يعلو صوت هذه المعركة » دون ان تعي ابعادها ، ثم جاءت لتشعر الشعب العربي وتزيد من تخديره بأن الصراع القائم في المنطقة خاضع حقا وجذريا الى صراع عالمي امريكي ــ سوفيتي يتحكم فيه ضرورة ، اضافة الى الايمان بضرورة المزيد من التسليح والتدريب لنكفل النصر مستقبلا . وما آخر هذا التصور والذي لخص الاسباب الحقيقية للنكسة « بعدم كفىء ادارة الصراع »(٦) الا امتدادا طبيعيا لهذا التفكير الذي سيطر علينا منذ اكثر من قرن . فالامر كله مرهون بتقدم تكنولوجي في قطاعات مختلفة يمكن للزمن معالجته .

ويهمنا الان ان نقف لنقارن ما يجري في العالم العربي الان وما جرى بعوالم اخرى كانت اوضاعها شبيهة بأوضاعنا . فخبرات الشعوب الاخرى كلها تؤكد عدم جدوى الترقيع والاصلاح فيمعالجة التخلف والمواجهة التي تتعرض لها شعوب ذات حضارة عريقة .

وقد سار بهذا الطريق بطرس الاكبر في روسيا ، وحدّث ما طاب له من تحديث ، واعاد تدريب جيشه ، ثم غير « ادارته » واحدث اصلاحات فوقية اثارت اعجاب اعدائه ، ولكن سرعان ما انهزمت جيوشه امام جيوش اخرى اكثر حداثة ، وبقيت روسيا رغم مصادرها المادية والبشرية الهائلة عملاقا نائما ، لم يستفق الى ان حدثت الثورة الشعبية التي فجرت طاقاته منذ ثورة اكتوبر ، فحدث التحديث الحقيقي على مختلف المستويات ، واعيد بناء المجتمع ، وحدثت الوحدة الوطنية وتحققت امال الشعب الروسي بالعيش الكريم القوي . وسارت الصين في نفس الطريق ، واحدثت التغييرات منذ القرن التاسع عشر ــ ويجدر بالفكر العربي ان يدرس هذه الموازاة في عملية التغيير في المجتمعين العربي والصيني ــ الى ان جاءت الثورة الصينية بقيادة صن يات صن التي رغبت المزيد من الاصلاح والترقيع، فكان لها ما كان . الا ان جدوى هذه الاصلاحات وقيمتها الحقيقية انفضحت كاملا في الثلاثينات فكانت الصين من حيث علاقتها بالاستعمار العالمي في وضع اكثر سوءا من سابقها ، وكان الفساد يعمم قطاعات اكبر من سابقيها ، وكانت الفوضى الادارية اشد وطأ على مقدرات الشعب الصيني ، وبالتالي كانت هزائمهم على يد اليابانيين والدول الغربية اكثر الما منها قبل التحديث والترقيع الى ان انتصرت القوى الوطنية الثورية التي خططت وناضلت استنادا الى نظرية سياسية اجتماعية شاملة مغايرة للنظريات الغربية البورجوازية .

وما حدث بالمجتمع العربي منذ بداية « النهضة » سواء في المشرق او في المغرب جارى هذا التفكير واخذ به ، فعدل وبدل ، وغير وحسن واصلح ، دون ان يرتبط بنظرية سياسية اجتماعية شاملة تستند الى التاريخ او المستقبل ، ورغم التحسينات الظاهرة في هذا المجتمع ، الا ان الخامس من حزيران ١٩٦٧ اثبت مرة اخرى ان المرور بهذا الطريق ينفذ بنا الى شارع مقفل ، وبالتالي يؤدي بنا الى ضعف متزايد والى مجتمع مبتور لا يمكن لحمه ، والى سيطرة اجنبية واستعمار عالمي يمتص طاقات هذا الشعب لصالحه . وان كان للخامس من حزيران عبرة ، فهي التوكيد على الافلاس الفكري لنمط معين من التصور السياسي الاجتماعي الذي الهم التغير العربي منذ بداية النهضة. الا ان هذه العبرة الاساسية لم يقبلها الفكر العربي ــ الا اليساري الملتزم منه ــ وبالتالي لم يؤد الخامس من حزيران الى تلك التحولات الجذرية في الانظمة العربية والمجتمع العربي الذي كان يجب ان يؤدي اليه . وبالتالي اصبح واضحا بأنه نكسة للانظمة ولم يكن نكبة لها . واصلاح نكسة الانظمة يكون بالابقاء عليها بعد محاولة تصحيحها ، أما النكبة فلها اساليب اخرى في المعالجة !

---

٦ ــ عالج محمد حسنين هيكل ارتباط الادارة الحسنة الحديثة بالصراع الناجح في مقاله الاسبوعي ، الجمعة، **الانوار** ، ٢ حزيران ١٩٧٢ .